

مِيَاهُ صَالِحَةٍ لِّلْقَتْلِ

ISBN: 978-605-69586-1-8

عنوان الكتاب: مياه صالحة للقتل | شعر

اسم المؤلف: حسين الضاهر

الطبعة الأولى: 2020

جميع الحقوق محفوظة ©



دار موزاييك للدراسات والنشر

الفتاح - اسطنبول - تركيا.

E-mail: rameta12009@hotmail.com

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق
استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي
مسبق من الناشر

شعر

مياهُ صالحهٌ للقتل



حسين الضاهر

ملاحظة

تمت طباعة هذه المجموعة بالتعاون مع مبادرة (حواس)

حواس... ظلُّ لكلِّ كلمة

حواس... الحبة التي أعطت سبع سنابل

الإهداء

إلى الأنثى التي ما زالت تغزل أهدابي بأصابع وردية

لهنّ:

أمي... زوجتي... ابنتي

عن المؤلّف

أنا حسين الضّاهر

الأكثر حزناً في حيننا

والوجع الوحيد لأهلي

عمري الآن لجوء ان وبضع ذكرياتٍ تالفة...

في المدرسة: تعلّمت كتابة الحزن على السّبورة وعلى وجهي

في صفّي: تعلّمت الوقوف على قدمٍ واحدةٍ قُبالة الجدران، والتكلم
معها أحياناً

في البيت: أدمنت رائحة ثياب أمّي

ومشاهدة التّلفاز

بألوانه الشّاحبة وقناته الوحيدة

يقول خالي محمود:

"هذه قناة غصباً عنك" ويشتم

في المسجد: تعلّمت إخفاء حدائي بعيداً عن أعين المؤمنين

في الشّوارع: ركبت حماراً لا أذكر لونه

وسقطتُ عنه لألف مرّة حتّى تمرّست السّقوط طوال حياتي

في الصّداقات الأولى: لم أتعلّم سوى إطلاق سحب الدّخان من
أنفي؛ وابتداع شتائم جديدة تثبت رجولتي

في بيروت: طبعاً هي إحدى بداياتي المتعثّرة

أحببت فتاةً قصيرةً مثلي

وأهديتها شريطاً لمغنٍ تافهٍ فرمتهُ من الطّابق الثّامن

وكنت أسرق معظم الصّحف والمجلات من أمام المحالّ المغلقة
هناك

بعد زواجي: تعلّمت إبقاء صغاري على قيد الحياة واركتبت برفقتهم
ما فاتني من لهو الطّفولة

في الطّريق إلى هنا: كنت أوّل الهاربين من بطش البلاد

وأخر العائدين إليها

في الثّلاثين من عمري: أجلس أمام شاشة الحاسوب

تهرول أصابعي فوق أحرفه الخرساء... وأكتب

شاعرٌ.. وخمسة دكاكين بقالة

في حارتنا شاعرٌ واحدٌ

وخمسة دكاكين للبقالة

يخرج الشّاعر مساءً من جمر القصيدة

ليكنس الرّماد والتّفاصيل عن عيون المازّة

ويخبّبها في جيب بنطاله المنقوب

لا يملك شيئاً، يقول نهراً قريب

سوى زجاجةٍ بعبارة الخيبة

ودفتر ديونٍ صار ديواناً جاهزاً للنّشر

البائع لا يكفّ عن الشّكوى

ستون علبة سجائر... ثلاث "ربطات" خبز... خمس بيضات

قلم رصاصٍ حالمٍ... طريقٌ غير مزدحم... أنثى جامحة... ليلٌ

بنجوم....

إلى أن تقع أصابعه المبلّلة على الفهرس

سيتعثرون بجثته

في كلّ ليلة

بينما يئنّ كساعةٍ تضاجع سكون البيت

سيعثرون على جثته

عند بوابة حانةٍ متأخرة

أو فرنٍ باكر

أو على قارعة قصيدةٍ طارئة

مقلوبٌ على وجهه الرّاجح

لمرّةٍ أولى وأخيرة

كنزٍ في كفّ حظّ مبتدئ

وهكذا يمكن ألا يكون

شاعرًا واحدًا

في حارةٍ رديئة

كذلك ثلاثةً كنّا

في الشّتاء ثلاثةً كنّا

نستعير من القطط صغارها

كي نتعلّم المواء...

في الصّيف

ثلاثةً... نحكّ قطع "الفّلين"

بجدار بيتك الخشن

إلى أن يُغلّف الثلج أصابعنا الفتية

ثلاثةً... سرقنا العنب والرّمّان بلا رحمة

ولم نقتل النّاطور

فقتلته الأمنيات

في الخريف

ثلاثةً اجتمعنا لاستقبال المطر

بأحذيتنا الطّويلة

ولم يأتِ بعد

في الربيع

حملنا الأحجار في جيوبنا

ورشقنا العصافير

كذلك ثلاثةً كنّا

ولم يكن الرصاص يطاردنا

في معظم الأوقات

ثلاثةً كنّا

ثم افترقنا

تشابه أحزان

حملت اسمي ثلاثين خيبةً ونصف

كإبريقٍ أثريّ

وعبرتُ به القبائل

والحواجز

والوجوه الصّفراء بعد نوبات الموت

عبرت به قوائم المطلوبين والشهداء

ومئات الحواسيب

وعند الحدود الفاصلة بين السّلم والحرب قالوا:

ثمّة حزنٌ يشبهك

ولا يشبهك

فكّرت: لعلّه تشابه أحزان

فكّرت: ومَن في هذه البلاد لا يشبهني حزناً؟

فعبرت

وكما العابرين ما زلت أحتفظ باسمي

أدسه في جيبى معظم الأوقات

أحشره منتصباً في مؤخرة القصائد

ويحشرنى في قوائم اللجوء

متى أراد

في الطريق إلى الفردوس

أقول:

طرقتُ أسلاكاً شائكةً منذ لا أذكر

فصرتُ قادراً على الحزن بلغةٍ إضافية

سيقول ابني:

أنا اللاجئ

وُلدت في طابور الإغاثة

من لاجئِ ابنِ ستين لاجئِ

يقول آخر:

لم أكن مريداً للخوف عندما مشيت على الماء، بل كنت ولياً للقهر

قال المهرب:

اصمتوا وإلا هبطتم من الجنة

قال رفيق الطريق:

"فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً

فليأتكم برزقٍ منه"

في محطة الحافلات

حصلنا على الماء وابتسامات عطفٍ مجانيّة

قال شاعرٌ في استقبالنا:

الذين هم مثلي يكتبون كي يصدُرَ كلُّ صباح

نُوحٌ طانجٌ من أرضٍ غريبة

عابرون لا أكثر

(1)

ينوح المذيع قائلاً:

ها هم

وبما تبقى من وجوههم

يعبرون آخر أزقة الحرب

أو هذا ما يشاع

يعبر الآباء

يجرّون أحماً من الأسئلة

"بفرداتٍ" واحدةٍ لا أجوبة لها

تعبر الأمهات

بظلالٍ مغبرةٍ كأنهنّ العاصفة وانتهت

يعبر الطفل

محملاً بمفرداتٍ ثقيلة

"دوشكا... هاون... دشمة... كي 47"

يعبر حطام المدينة

يلوّح له الغائبون عبر الشّاشات

ويرسلون الدّموع

تعبر البندقية

مُثقلةً بالرّصاص والدّنوب

يعبر جنديٌّ

لينام في حضن الضّحيّة كلّ ليلة

تعبر الضّحيّة بخجل العروس

تعبر شجرةً فقدت ظلّها

وتتهم الخريف بإسقاطه

يعبر الخريف مستهتراً، ولا يسلم نفسه

(2)

يا قطعان الموتى تحت رايات الوطن

يا قوافل الشّهداء تحت رايات الوطن

يا سكّان المقابر الجماعيّة والمنفردات

يا أمهاتنا المتشحات بالنَّدب

يا أخوتنا في السَّلاح

والتبؤل في العراء أثناء نوبات الحراسة

يا أخوتنا الأعداء

يا أيَّها النّوافذ يا أبواب الخطيئة

أيَّها الباب المشرع على التَّهب

وانتصارات ذوي القربى

يا أسلاك كهربائنا الفتية

يا حجارة الرّصيف العالقة

في أذهان الأحذية

يا خرائبنا المترعة بالخراء والوحدة

تعالوا لنضع أيدينا جانباً

ولنتقاتل بأرجلنا هذه المرّة

كنوعٍ من التّجديد

وبدل أن نحصي الخسائر والضّحايا

نتفقّد أحذيتنا بنظرةٍ إلى أسفل

ونمضي

تعالوا لنبتكر حربًا

نموت فيها من الضحك

وبنكتةٍ بذيئةٍ نولد مجددًا

ألم نُخلق من هذه البذاءة؟

تعالوا لنسخر من الموت

ونموت في اليوم مئات المرات

ثمّ نعود إلى البيت مساءً

محمّلين بالأكياس

ميّتين من التعب

(3)

منذ قليلٍ كنّا سگان ذاك الرّماد

ولنفترض

أنّنا اثنا عشر مليون جمرّة

كما أشارت الخرافة

ولنفترض

أننا اثنا عشر مليون متطفّل

كما قال أصحاب اليمين

أو اثنا عشر مليون متسوّل

على أبواب أصحاب الشّمال

ولنفترض

أننا لاجئون، نازحون، مقيمون، مشرّدون، عابرون، سائحون،

عابثون، لاهئون، بگاؤون، مدمنون، سبّاحون، عداؤون،

مشاؤون، قافزون، فائزون، خاسرون

ولنفترض

أننا يوماً ما عائدون

برد

الشتاء يسترق التّظر إلينا

من بين أصابعنا القصيرة

لقد جاء...

لم نحضّر أنيابنا للرّقص

على نغمات صقيعه

ولا جواربنا السّميكة لتقيّننا الخوف

لم نلبس أسماءنا المجرّدة أيّ لقبٍ بعد

ولم نرمّم سقف القصيدة بالطّين والقشّ كما العادة

استيقظي

لنتفق على أنّ الماء الهارب من السّماء ليس خيانة

وأنّ حضنك الشّاسع

سيكون دفترًا لمفردات برّدي كلّها منذ الآن

استيقظي

لنحضّر الحطب ونشعله كانتقام

من ذات الشَّجرة التي لم تتَّسع

لأسمينا... وقلب

استيقظي

لنروي لأطفالنا عن ثلاثين حرب

خضناها مع الماء

وادَّعي التَّصر

تعالِي

أنظري بين أصابعي

أتشعرين كما أشعر بالبرد؟

أجدل شعر العزلة

لا أذهب إلى المقهى

ببساطة

لا شهية لديّ لإحصاء المقاعد الفارغة والذباب..

أو لابتكار حجج مقنعة عن الغياب

أجلس هنا

في البيت خفيماً نظيفاً

أحكّ أنفي

أعدّ بلاطات المطبخ

ولكم سجينٍ تتسع

أُحق الأضرار بخزانة الملابس

بعظام رقبتي

وباللغة أحياناً

فتوتخي زوجتي وأمي

وأستاذ اللغة من قبره المترع بالسكون
لن أذهب إلى المقهى، ولا لأي مكانٍ آخر
سأبقى هنا
جائماً عند رأس العزلة
أداريها
أجدل شعرها المبلل بالهدوء
أطعمها الدقائق والثواني
كجميةٍ عن لحمي المرّ
وأردد لها: كلما تعبت
لا تخافي، أنا هنا

أربعمئة وتسع وثمانون دقيقة

ألف دقيقة

تدخل بحيرةً إلى رصيد هاتفي المهجور

فيزگرد كأنه من زمن البيهجة

وبما أنني لا أتقن التحدّث إلا بلسانٍ شائك

أقايض نصفها بدقيقة صمتٍ على أرواح من سقطوا

وأندم

لو كانت لي حنجرة ديك

لاستهلكتها في طرد الكوابيس المتأخّرة

لو أنّها بقيت نقوداً

لاشتريت صوتاً جهورياً

ألقي به الشّتائم والقصائد على الواقفين في طابور الخبز...

لاشتريت بندقيةً لأدفع بها عربة الموت المتأخّرة عن اللحاق بأهل

البلاد

لو أنّها تصلح للاشتعال لأمضيت عليها سهرةً مترفة

وإبريق شاي

أندم كثيراً

وبالنّدم ذاته

أتّصل بـ "عمار فياض"

ثلاث دقائق:

أتذكر رائحة المحاة في الصّفّ الثالث؟

أتذكر ألوان الباقية الدّابلة في كفّ أنسة العلوم؟

بذاكرةٍ مختنقة

يجيب بالنّفي

ويغلق

أتّصل بـ "محمد الجبوري"

ثمانى دقائق:

أعرض عليه بركاكةٍ ملابسات جريمى المقبلة، يوافقني بإسهاب

ألقي التّحيّة في أذنه مجدّداً وأغلق

أَتَّصِلُ بِالشَّمْسِ فِي نَهَارٍ خَرِيفِيٍّ

لَا تَجِيبُ

أَتَّصِلُ بِالْبَحْرِ الْغَاضِبِ

مَشْغُولٌ بِاصْطِيَادِ الْعَابِرِينَ

أَتَّصِلُ بِشَجَرَةِ زَيْتُونٍ

مَشْغُولَةٌ بَعْدَ الْهَزَائِمِ

أَتَّصِلُ بِالمَجْزَرَةِ

رَنَّةً .. وَتَغْلِقُ

مِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّهَا قَرِيبَةٌ جَدًّا

أَرْبَعٌ مِائَةٌ وَتِسْعٌ وَثَمَانُونَ دَقِيقَةً

وَلَا أَحَدٌ أَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ

أنفي يلتقط الزّكام بمهارة

أعيد تجميع قطع وجهي كلّ صباح

بعد أن أبحث عنها في أنحاء الغرفة

أجد عيني في منفضة السّجائر تبكي البلاد بصمت

أُخرجها

أزيل عنها الرّماد وأضعها في محجرها

أذني هناك كعادتها

أمام التّلفاز تنتظر مفردة سلامٍ مارقةً لتحتضنها

أمسكها من طرفها بلوّم

وأعيدها إلى مكانها ملتصقةً برأسي

فهي بجوار النّافذة

يشتم المازّة

ويرطن بمفرداتٍ لا أفهمها

أسدّه بيدي

وأعيده إلى أرض الصّمت
أنفي محشورٌ بالشّعـر
يرتبّ حروفًا
ويلتقط الزّكام بمهارة
أنظّفه بمنديل
أركّبه في مكانه
فأشمّ رائحة خوفي الرّهيب

أسحب البلاد من دمي بإبرة الوقت

هذه هي الحياة

"يوم لها وأيامٌ عليّ"

فلم أقلق

ووقفت بكلّ ما أوتيت من رماديّة

ككلبٍ أليفٍ

على باب شقّتي المستأجرة

في إحدى الضّواحي البائسة

واستقبلت المصيبة بلطف

كأنّها ضيفي المحبّب

دعوتها لشرب فنجان قهوة

والقليل من دمي الطّازج

مع دموعي المالحة الشّهية

وتركتهما تلعب "ماتشًا" مسلّيًا بأعصابي

في الخامسة من البعد

في البيت

أسحب البلاد من دمي بإبرة الوقت

أدهنها على الخبز وأطعمها لأولادي

بلا عملٍ أكرّر:

أنا شاعر

قد يحتاجني المجتمع يوماً لجمع التفاصيل

وإعادة تدويرها على شكل لحظات

"أنا جامع القمامة"

أنا لاجئ

أقايض اسمي الثلاثي بكرتونة إغائة

دون أن يسحقني الخجل

رز ... سكر ... ذلّ ... شاي ... معكرونة

وكلّ شيءٍ يبقيني على قيد المهزلة

فالبلاد التي التصقتُ بها يوماً

کتوأمِ سیامی

لم تکفّ بعد عن العبث في ذاكرة المبعدين

ولم تقلع عن تدخين أمنيات أبنائها

لذا سأظلّ هنا الآن

أعلّم الخوف كيف يربط حذاءه قبل الخروج

الحلم درّاجَةٌ بعجلتين

أكتبُ مجازًا عن الخوف

"الخوف جدارٌ بأذنين"

وأدسه علناً في طعام أطفالي...

ثلاث جرعاتٍ في اليوم

أكتبُ مجازًا عن الحزن

"عربةٌ يقودها ثملٌ فتدهس المارّة وحتّى الجالسين في بيوتهم"

وأنظّف أسنانه بعد أن يقتاتني...

مرّةً بعد الطّعام

أكتبُ عن الفراغ

"علبتان من السّجائر تنتهي قبل الغروب"

وأدمنته...

جرعةٌ عند الحاجة

أكتبُ عن السّرور

"منفضةٌ تتسع لكلّ هذا الفراغ"

بضاعةٌ مفقودة

الأمل

"صديقٌ سيأتيني بزوجين من الأحذية الجديدة"

بضاعةٌ فاسدة

العيد هنا

"فقط ثلاثة أطفالٍ يطرقون بابي الصّديء"

ياللزجاج!

الحلم

"كان درّاجة بعجلتين ثمّ مات بعمرٍ صغير"

الوحدة

"مُضغت في أفواه الجميع حتّى فقدت مذاقها اللاذع"

الليل

"إله الحنين عند الغائبين القدامى"

الشّجرة

"في السِّلْمِ ظُلٌّ وَأُنْثَى

في الحرب أَمْصَ بِنْدَقِيَّةٌ"

فليعلم الحطَّاب

أَمَّا أَنَا

ف"عَلَّةٌ مَرْكُونَةٌ عَلَى إِسْفَنْجِيَّةٍ مِنْذِ الْأَزْلِ"

وَلَا أَبَالِي

المسافة بيننا حذاءً متعب

إلى: محمّد حذيفة العثمان

المسافة بيننا سيّارتان

السيّارة كلبٌ مريض

يلوكُ الدّرب بلا اشتها

لذلك

لا تسألني... متى؟

وحده الدّباب

يسجّل حضورًا باكرًا على كلّ الموائد

آه يا صاحب البداوة

لو أنّ هذه الأبنية ترجع خيامًا

لذبحنا حلمنا الوحيد المتبقّي من تركة الصّحراء

وفرّقنا لحمه على كلّ القبائل بالتّساوي

لأهدينا سرجه لعابر سبيل

وامتطينا شاة العودة الملحاء

يقول "عيسى الشَّيخ حسن"

"الرَّيابة حصانٌ وغزالهٌ وشجرة"

أقول:

الرَّيابة فنجان حزن

واللحن سحل الكلمات عبر الكشبان من شعرها أو من شعرها

فغرق بدويُّ بشبر غناء

ياللمصادفة!

الرَّيابة قِطاة

كيف سيقتنع صيادٌ مبتدئ؟

الرَّيابة نخلة

قطعها صوت الحدائث

وتدقاً عليها لثمانى ليال

المسافة بيننا حذاء مُتعب

خطوتان مجازيتان

رمية حجر

إلّا أنّ أقدامنا استعارت ألوان البلاط

لي أهلٌ من طين.. هم أهلي

لي أهلٌ من طين

ظننتهم أهلي

استبدلوا بعشر عصافير من على الشجرة

مشطاً رصاص، واستولوا على البستان

لي أهلٌ من طين

هم بالفعل أهلي

غادروا القصيدة باكراً

بعدما استبدلوا بالذكري حذاءً رياضياً

واستولوا على الحنين

كذلك لي أهلٌ من طين

وهم نفسهم أهلي

تأبطوا الموت تحت قلوبهم

رسموا على العفن خريطة الدماء

واستولوا على الأحزان

أهلي الآن يتبادلون أطباق المعارك

كما تبادلوا أطباق الطّعام ذات سَكِينَةٍ منصرمة

مازالوا يسكنون منطقةً منزوعة الفرح

وتتبعهم المصيبة ككلبٍ وَفِيّ

خمس سنواتٍ في المطبخ

لا شيء

هي مجرد خمس سنوات

في السنة الأولى:

ستلتهم الذكريات بنهمٍ مبالغ به

تستيقظ باكراً

لتقلب الصبر إلى وجهه الأقلّ نضوجاً

ثم تبكي

لا تهتمّ

فقد تفوح من فمك رائحة القهر أحياناً

هي مجرد أعراض جانبية خفيفة

في السنة الثانية:

ستكسو أنفاسك طبقةً صداداً رقيقة

وتتكاثر في رأسك بكتيريا الندم

فقط عليك أن تعرّض وجهك للطّمات

لمئة مرّة قبل المساء

في السنّة الثالثة:

ستطفو على وجه بستانك أعشابٌ ضارّة

تقلّد أصوات الغائبين

لن تقتلها فأنت فلاحٌ فاشل

في السنّة الرابعة:

لن تجد موطأ قدمٍ لاسمك الغريب

إلا في سجلّات الخائفين

وقد تجده مكتوباً على نهاية غصنٍ في شجرة عائلة الحزن

لا بل هذا أمرٌ مؤكّد

في السنّة الخامسة:

ستعيد كلّ ما فعلته سابقاً ببطءٍ شديد

ألم أقلّ لك أنّها مجرد خمس سنواتٍ من عمرك؟

يمكنك إمضاؤها في المطبخ وأنت تعيد تسخين شايك البارد للمرّة

الألف

أو أن تساعد الخيبة في طبخ لحظات حياتك المتبقية على نارٍ
خامدة

وطنٌ مشويٌّ وأشلاء

(1)

الجنديّ الذي كسب الحرب صار أبًا

لجثتين جميلتين

يرجع مساءً إلى بيته

ينبش بمعول الدّاكرة قبور قتلاه

يُخرج الجثث، يلاعها قليلاً

يحكي لها قصصاً عن النّدم

ثمّ يدفنها مجدّداً

(2)

الجنديّ الذي خسر الحرب يصرخ:

استيقظي مجدّداً أيتها المعركة

لتغسلي وجهك القاسي بدماء أبنائنا الجدد

استيقظي

لنعدّ لك فطوراً لائقاً "وطناً مشويّاً وأشلاء"

(3)

الجنديّ الذي ترك الحرب ورحل، يقول:

لنا بلادٌ سقطت من السّماء إلى قعر المصيبة منذ أوّل الخلق
ومع الأيّام صارت تميمةً للبوّس نعلّقها على رقابنا نحن العرّاة
من الوطن

لنا غربةٌ تنمو على صدورنا كعفنٍ أخضر فوق رغيّفٍ بائتٍ
قرب جدار

لنا عمرٌ يمشي على أجسادنا بنعالٍ من جمر

خبزنا، الرّكض خلف أملٍ زائف

وماؤنا، لاذعٌ كركلات جلاّد

(4)

الجنديّ الذي قُتل

راح يؤدّي نوبات الحراسة المتبقّية على باب المقبرة

وينتظر بلهفةٍ رفيقًا آخر "على آلةٍ حدباءٍ محمولٍ"

(5)

الجنديّ الذي خسر قدمه

يتمنّى لو أنّه شجرة

حتّى ينمو غصنٌ في فراغ بنطاله

قصيدة طويلة

هنا من أعلى برجِي العاجِيّ

أراقب أسراب الموت

تهاجرُ جنوبًا

أحفرُ في مخيلتي قبرًا يتسع للمعركة

بشهداءها وقتلاها بسلاحها الخفيف والثَّقىل

بدموعها ونشوة انتصارها

أحفرُ قبوًا للخائفين والعُزَّل

وأبحثُ بين جراحهم عن شظايا بسمَةٍ تعثَّرت

ستمطر قالوا في قصائدِهم وفي نشرة الأخبار

سيفرح الفلاح والشَّاعر

والجنديّ المتمترس خلف الحظيرة

ستمطرُ هدنةً قصيرة

أو ربّما حبال نِجاةٍ أو مشانق ترفعنا إلى السَّماء

ستمطر بياناتٍ مكتوبةً بعناية

ودموع تماسيح

وقمصاناً مكويّةً وابتساماتٍ تتراقص على الشاشات

لا بل ستمطر أحذيةً على رؤوسنا الممتلئة بالترهات

قالوا: هذه الحرب قصيدةٌ طويلة

توزّط فيها شعراءٌ كثيرٌ وجنودٌ وفلاحون وعاهرات

وقالوا لن تهرب حتى إن دُفنت في قبورٍ مُشيّدة

أعطوني خريطةً وحذاءً رياضياً

وثنمن تذكرةٍ إلى الجحيم

وأخذوا يتسلّون بعجزي

هذا الصّباح

ثمّة طائراتٌ كثيرةٌ في السّماء

وأهدافٌ أكثر على الأرض

ثمّة حزنٌ يركض حافياً فوق عظامنا

وثمّة حربٌ وقصيدةٌ طويلة

مياہ صالحۃ للقتل

تميّزُ بأسلوبك في البقاء

مثلاً

كنْ بندقيةً جديدةً في يد فتى أحبّ الحياة

ابصقِ الرصاص في وجوه الأعداء تارةً

وفي ظهور الأصحاب كتعبيرٍ عن الامتنان

في أوقات فراغك مزقْ هويتك وانضمّ إلى جوقه العجبر

الخيمة طقسٌ قديمٌ لم تجلبه الحرب

والهوية سماءٌ تتسع للأمانى

وحدهم العجبر لا يطالبون بحقوقهم

يقتاتون فتات المدن وسُمرّة الشمس

لا دفاتر عائلية تتسع لهيئاتهم

فالأمّ عمود الخيمة وهوؤها المتجدّد

ووطنٌ كلّما دقت سكةً في الأرض

الأب حصانٌ عجوزٌ

مارس الترحال منذ نعومة حوافره

الأولاد لهم هيئة العاصفة بغيارها بمائها وطينها

كلما أمعنت في البحث عن جذورهم جرفك السيل

تميّز بأسلوبك في البقاء

كأن ترفع سلاحاً في وجه الموت

تقيده وتطالب بفدية

وتصرخ بفخر

"أنا من خطفت الموت"

كأن تطوف سطح البلاد بهيئة شبح

تقطع الحواجز

وبسخرية تنفخ في أذن جنديٍّ ممتعض

تميّز يا صاحبي

كن ابناً للبطّة السوداء

وبفخرٍ طف مع القطيع على مياهٍ دافئة

أو باردة

أو حتى مياهٍ صالحةٍ للقتل

و عُذُّ بخير

طابور الحياة الطويل

عدتُ إلى مهنة التدخين

بعد خيانةٍ قصيرةٍ الأجل

غضبت أُمِّي لوقوفِي مجدداً في طابور الموتى المؤجلين

غضب أبي لأنَّه غاضبٌ دائماً وشميني

غضبت جيوبي لأنَّها ستفتقد أصابعي الصِّفراء

غضبت ستائر الغرفة خوفاً من الاختناق

وفرِح جارنا صاحب الدكَّان

يا أُمِّي!

ما الجدوى من الوقوف في طابور الحياة الطويل

للحصول على كِسرة فرحٍ يابسة؟

الصِّباح يستغرق ثلاث سِجائر فقط

ليمضي على أوراق تعذيبي

في الظَّهيرة

أنتصب كعود ثقابٍ جاهزٍ للاشتعال

نهايتي تبدأ من أعلى إلى أسفل

تمامًا

بعكس الطّريق الذي سلّكه رفاقي

في المساء تنتهي الحكاية

بعد أن تغسل يديها من دمي

في مديح الرَّمْل المُسْتَقَرِّ في قعر الكأس

ثلاثون سنةً

ونحن نرْمي للنَّوَارِسِ خَبْرًا بَائِتًا وابتسامات

هكذا بلا مقابل

ثلاثون سنةً

ونحن نسكّر في الخرائب و"مازتنا" الخوف

ثلاثون سنةً

في مديح الرَّمْل المُسْتَقَرِّ في قعر الكأس

ثلاثون سنةً

يمكن خلالها لبندقيّةٍ أن تشيخ

ويمكن للحروب أن تملأ جيوبها دموعًا

وتغلق الباب

ثلاثون سنةً

وكائن الحزن يصحو باكراً

قبلنا، و"قبل الشَّحادة وبنتها"

يحكُّ مؤخَّرته الحزينة

ينظِّف أنيابه المغروسة في جلدنا

يقف إلى مرآةٍ

ليُسرِّح مساحة الشُّوك المتناثرة على دروبنا

ولا يشذِّبها... يلبس أحذيتنا

ويذهب بنا إلى الجحيم يومياً

كعشبةٍ تحت حجر

لأيلول.. ابنة الصّديق محمّد الجبوري

لأيلول

خذُ بيدها الصّغيرة إلى بيتِ

يسيل من نوافذه لعاب الحنين

ليصرنَ أربع وسائدٍ محشوّةً بحلم العودة

لتكون العودة معجزةً كما كانت دائماً

لتنظروها

فهي الآن صفراء وعاجزة

كعشبةٍ تحت حجر

لأيلول

بالتأكيد

جاءت لتشهد سيرة ركضك العبيّ

لتطلق لك صافرة بدايةٍ أخرى

وأخرى وأخرى...

حتّى انقطاع الوتر

لأيلول

لها

سنشكو أعمارنا القصيرة المزيفة

سنذكر الجدّات "حبّاباتها"

حين حصدن الشّمس بوجوهٍ مجرّدة

قبل الحصاد الكبير

لها سنحكي

حكايا البلاد "سكّيننا المفضّلة"

ثمّ نذبح طير الحمام

لكي تنام

رصيف الخطيئة المبلل باللُّعاب

في حضنك

تنمو عقارب السّاعة

دورة حياةٍ كاملة

تمرّ الطّفولة بلدغة لعبٍ سريعة

يمرّ الشّبَاب يقشّر جلده بعد كلّ قُبلة

الموت ليس بالأمر الصّعب بين أغصانك

هكذا يقول العاشق

وهو يزيل الأسلاك الشّائكة من تحت لسان قلبه

إنّها الثّانية والرّبع من عمر الرّعشة

تتكدّس أضلاعي برتابة

على رصيف الخطيئة المبلل باللُّعاب

كأنّ المارّة لم ينتهوا اليوم لخطواتنا

فقد مررنا حتّى آخر شهقة

من دون أن ترهينا وشاية العصافير

الحبّ يا حبيبي

أن تتناولني سطور القصيدة

كلّها جرعةً واحدة

Birecik

عندما تتحسّسون الخريطة في مرّة مقبلة

مرّروا أصابعكم إلى أقصى جنوب الهامش

إلى شمال الجثّة بخطوتين

تحت أيديكم مباشرةً أعيش أنا

تمامًا

حيث العتمة ترفع صوتها باكراً وتُشعر المكان بالوحشة

يقولون: هذه التّدبة عتيقةٌ جدًّا

حتّى دروبها هرمت وصارت أزقةً ضيّقة

والّهـمـر الوحيد هجر الوادي

وجفّ من الصّور القديمة

فصار حكايةً يتبادلها العاطلون في المقهى

يقولون: إنّ جدّتي نبتت هنا

ثمّ اقتلعها غريبٌ من جذورها

وسمّاها "بهية"

ولم نرث عنها سوى الخريف

عبي كذلك

قطف له شتلةً من الحقل نفسه

ومكث في السجن لليلتين على فعلته

عمتي جاءت في زيارةٍ عاجلةٍ ثمّ ماتت

وأصغر أعمامي مات قبل أن يأتي

لذلك تراني حائرًا

أهذه البلاد لي؟

أو للذي مرّ من تحت نافذتي وهو يرطن بمفرداتٍ لا أفهمها؟

أعيش هنا منذ أوّل شتاءٍ هطل

وما زال التّهار يسقط من يدي قبل أن أتذوّقه

إلا الليل

يركن حافلته الطويلة على وسادتي

ولا يتزحج قبل أن يتأكّد من إفراغ حمولة الأرق بين أجفاني

أعيش هنا على ارتفاعٍ شاهقٍ

فوق مستوى فرحكَمِ اليوميِّ

في عمق حزنكم الأخير

وأشكو

الصّباح حقلٌ بلا فزّاعة

(1)

ها هي وبكامل أغصانها

فكرةٌ خصبةٌ

تضرب جذورها في رأسي

منذ قليل، كانت تشرب الضّوء بفنجانٍ أعرج

وتشتم الأطفال العالقين

في دوّامة اللّهُو

الآن، تحاول إقناعي بأن أدس أصابعي العشرين في قلبي

لأتقيّ الوطن الفاسد الذي ابتلعتته في معارك الأمس

وتقول:

خيرٌ وشرّ

جبلٌ وجبل

وطنٌ وغربة

لا تلتقي في رئةٍ مُسنّة

ولأنني فقدت اسمي في الطريق إلى الخيمة... صدقتها
ولأنني دفنت اشتياقي على شاطئ الوجع العميق بكلّ ثيابه...
صدقتها

ولأنني تركت المرايا تغفو على وجهٍ غريب... صدقتها
(2)

في الكوايس: أنا اللاهث أمام كلاب المقابر
في طريق اللجوء: أنا الزبد العالق على فم الغريق
في الصّور العتيقة: أنا التاريخ المنسيّ لالتقاطها
في ضبوط الشرطة: أنا الفاعل المتواري تحت أكوام الغبار
في العتمة: أنا كذبة الضوء في آخر النفق
في الخبر العاجل: أنا الجثة المجهولة الهوية
أهز رأسي موافقًا على تحليلكم لطريقة موتي
وأشارككم دفتي بكلّ كياسة

(3)

الصباح حقلٌ بلا فزاعة

تستبيحه عصافير النعاس

ومحصّل الفواتير

وساعي البريد

وبضع عناكب من فصيلة الحنين

تطفو على فنجانك الأول رغوّة بنكهة القمح

وبعد رشفتين يأخذك الصّمت في زيارةٍ سريعةٍ لأعشاش البلاد

هل تذكر لون شعر الفتاة التي تبعتها حتّى آخر العمر؟

هي عشر دقائق، فقط عشر دقائق

وتقتلك الحماسة

(4)

كان بإمكانني القفز من على الشّفة السفلى لهذه المدينة

أو العبث بحلّمة الخوف لرجلٍ عالق

ما يمنعني

هو أنّني لا أجيد كتابة السّكّين بشكلٍ حادّ

أن تكون "نحن"

لا تهتمّ حضرتك

إن دخلنا حمّام الدّم الساخن

كي نتبرأً حيناً من أوجاعنا

وخرجنا عراًً عند ضياع "طاسته" الشّهيرة

لا تهتمّ

إن دخلنا المجزرة بأسمالٍ ملوّنة

وخرجنا منها مجرد رقمٍ شاحب

إن دخلنا الجرح، تسكّغنا بداخله

بمسدسٍ على الخاصة تسكّغنا

ببندقيةٍ نصف أوتوماتيكية تسكّغنا

بقنبلةٍ يدويةٍ ثقيلةٍ تسكّغنا

لكن

أن تكون "نحن" الآن

ستنتعل خفّ الذّكريات بقدمِ يميني

وغربةً طويلة الأمد في اليسرى

ولا تعود قادراً على المشي

بأثّزان مواطنٍ شريف

أن تكون "نحن"

لا يعني انتماءك لتلك القطعة من الأحجية

ولا يعني أن تهشّ على صباحك المتكرّر بقرص "فلافل" عتيد

يكفيك

أن تريحهم طرف وشاح أمك الغارق بالدمع

ولا تهتمّ

دع العالم يلتقط صوراً لنا

كلّ مرّة نضاجع الرّكام فيها

دع المحاكم تصدر بحقّنا حكم الإخلال

بآداب الطّريق

عند ظهورنا المفاجيء في منظار قنّاصٍ مُحترِف

دع الصّمت يتنعم بمشاهدة فيلمنا الطّويل
ولا تنزع من يديه كيس "البوشار" أو كأس العصير المنعش
ولا تهتمّ

ذئبٌ شرقيٌّ وحناءٌ

تمرّين بشارع الشّعَر الطّويل
وبكلّ خطوةٍ تخضع قصيدةٌ جامحة
كلّ اللواتي لبسن سحاب الصّيف من قبلك
قطفن حرفًا واحدًا من حروف الشّمس
إلا أنتِ

خرجتِ بمفردك عن وصايا الفصول
لتولد فراشةٌ في وضوح التّهار
أما أنا

فقد جئتِ إلى الشّعَر متأخراً
بعد أن تفتّقت أشجار المصيبة في حقلنا
زهراً يستحقّ النّواح
فنُحت

لو لم تكن هذي القصائد حُفراً
لما دُفنت فيها عظام الذّكريات

(2)

تنصبين الفخاخ لأربعةٍ من أصابعي

تُلغِّمين مساحةً شاسعة

من سهول هذه الغرفة الباردة

وقبل الخديعة بشيرين أدرك الحكمة

"أصابع في اليد، خيرٌ من عصافير الخطيئة كلّها"

أنتِ يا سرب نملٍ

يسحل قمح أفكاري .. حَبَّةً .. حَبَّةً

أنا

يا أنشودة العاطلين عن الوطن

(3)

من على الأريكة البنيّة "مملكتك"

تطلقين شعركِ غرب الفرات

فيتحسّس ذئبٌ من الشّرق خنصره المضمّد بالحنّاء

ويعوي

ربابةٌ غزلت لي الكفن

كنتُ غيمةً

أجثو على أيّ نبعٍ شارد

أقبله

وأضعه بجانب الجدار مؤونةً للغائبين

كنتُ غيمةً

أهشّ بعصاي على الشّوارع

وكلّ هذا الخوف كان في جيبِي

قبل أن أنثره

على وجوهكم المستعملة جدًّا

صرت صحراء

وهذه الرّمال دموع أمّي

أغيّر وجهي الجافّ

وأنّهزُ أعضاء الأمل من على كتفي

كلّما اقتربت رياحُ
لكنّ ربابةً غزلت لي الكفن
ودفنتني في متاع البدو الرُّحَل
أنا الآن الدّنب والخراف

كضحكةٍ في مجلس عزاء

أمشي

ثمّ أمشي

ثمّ أقف على قدمٍ يابسةٍ أو تكاد

لألتقط رثي من عمق الخريف

فيغتصب عجوُزُ اللحظة على مرأى الواقفين

ويقول:

"إنّه يومٌ مناسبٌ للانتظار"

فانتظر

في موقف الباص أنتظر قدميَّ إلى أن تنموا

في الطّوابير

أنتظر المعجزة القادمة مع أول حرفٍ من اسمي

في القصيدة

أنتظر الأنثى المتشحة بالمجاز لأستمني على أفخاذها

في البئر

أنتظر السيّارة

في الحرب

انتظرت الموت وكدنا أن نتقابل لمّرات

غريبٌ كضحكةٍ في مجلس عزاء

وحيدٌ كغرابٍ مارس الدّفن لتوّه

هشّ كمفردة "شارع" لا ينتهي ببيت حبيبة

مُترعٌ كما ينبغي لمقابرنا أن تكون الآن

أنا "السوريالي" الدّبيع

مُعلّقٌ على خاصرة هذه البلدة كمئزر قصّاب

ملطّخًا بدم التّعاسة تارةً

وبالوحد والأسئلة تارةً أخرى

ألم يلاحظوا دموعي المتخثّرة على مفارق الطّرق؟

لا

"إنّه يومٌ مناسبٌ للانتحار"

كلّ سنبلٍ سبعة عشاق

الحيّ الذي أعيش فيه

هو الحيّ الذي لا تمرّين منه مطلقاً

وهذا تعريفٌ آخر لوحيدتي

الصغار هنا عقدوا هدنةً قصيرةً مع الوقت

وراحوا يدفنون أيديهم داخل أكوام الرّمْل

هم هكذا

يمارسون مراسم الموت منذ نعومة أظلاعهم

كما جرّبنا من قبلهم الخوض في مستنقع الأمنيات

وقمنا

وسقطنا

حتّى أدمنت أرجلنا أبجدية الهديان

الحيّ الذي أعيش فيه

يمتدّ من أوّل الجرح حتّى آخر قطرةٍ في الفرات

هنا

ثلاث نساءٍ فقط مرّقن ميثاق القبيلة

وخرجن عن تعاليم النّدم

وطفلتان يدغدغن سرّة الليل

بأناشيد بعيدةً عن أغاني الفصول

وعجوزٌ سوريٌّ يتكئ الشّتاء على صدره

فيسعل، ويسعل

حتّى يبصق الشّوك والمطر معاً

الحيّ الذي تعيشين فيه

يطلّ على كلّ حروف النّداء

وهذه خيانةٌ واضحةٌ للغة

الصّغار هناك لا يعدّون النّجوم

بل يسقطونها على حوافّ النّوافذ

كلّ نجمةٍ عصفور

كلّ عصفورٍ حجر

كلّ حجرٍ كومة تراب
كلّ كومة ترابٍ سنبله
وكلّ سنبله سبعة عشّاق في قعر القصيدة
في الحيّ الذي تعيشين فيه
الموت تفصيلٌ صغيرٌ يمرّ برشفة قهوةٍ مرّة
والحياة تجلس عندكم على كلّ المقاعد
كطفلٍ يلهو بأغصان الدّهشة
النّساء هناك فرّغن ألوان السّماء بضحكة
والرجل الوحيد كسر أرجل العزلة وسلّم نفسه للهواء
في الحيّ الذي تعيشين فيه
تعيش أغنيّتي الوحيدة
الطّويلة
وأريد استرجاعها

لا ققط تشاركني موائي

قالوا عنك ذنبه
إلا أنّهم سلكوا طريق الغابة بأيديهم
وحملوا إليك زيف التّوايا
هؤلاء الرّجال جميعهم أنا
أنا وأنا والصّياد ثالثنا
حين كان جلدي يتنفس الخيانة
وحين كنت صلبًا
وتتبعثر الحجارة مّيّ دموعاً حتّى أسفل الطّريق
فلنقل حُبًا
ولننحت العهد على لحاء شجرة في بيروت
ثمّ نستقلّ باص العودة الأخير
لنتبرّع بدمنا الفقير لأقرب معركة
الطّريق إلى بيتك

أصُيب بالغياب منذ أوّل مجزرة

وأصابتني شظايا الفقد حينها

ولم تستقبلنا المشافي

لكن

لستُ من تظنّينه الآن

وهذي القصائد ليست إلا ثيابًا بالية

أستعيرها من أخوتي الموتى

لأستر جيني المهزوم

وحيدًا أقترح اسمًا لوحدي

"لا زهور أسقيها في غيابك"

لربّما

"لا ققط تشاركني موائي"

وحيدًا أسلك شوارع الغرفة

وأزقتها

لظلك الهابط مع امتداد الضوء

لثيابك العابثة بمخيلة الليل

لوجهك حين يمتهن الرضا

لأجلك

سيكون المساء نافذتي إلى العذاب الأبدي

منذ الآن

بعيداً عن أعين الغرباء والأقرباء

تحت أنظار اليأس

كلّ هذا اليأس

أحبك

لأنيّ مذ بدأت المسير لم أجد ظلًّا يرافقني

سأعود إلى الغابة حتمًا

سأعود كشجرةٍ يابسة

لأثير شهوة الحطّاب

لأنيّ

مذ بدأت المسير

لم أجد ظلًّا يرافقني

ولأنّنا نأتي إلى الحياة

بهدنةٍ هشةٍ مع الموت

عند البحيرة كُتب:

"أحلامكم أيّها السّوريّون أسماكٌ نافقة"

علّق أحدهم

لهذا نختنق

دخلت ديبهٌ إلى كرمي

ثمَّ خَيَّرت النَّاطورَ بينَ قَتلي أو سَلَّةِ العَنبِ

فَقَتَلني وراحَ يَطعمُ الدِّبَّيةَ

محاولةٌ لإلقاءِ شِعْرِ سوريّ

في البداية قال لها:

انتقي حجرًا

واقذفي ظهر الفرات

ثمَّ عُدِّي كم سوريًّا سيسقط من الشُّوق

بعدها بسنين

نظر سوريٌّ إلى مرآةٍ وبدأ العدّ

كلَّ شعرةٍ بيضاء قتيل

أمّا عن التّجاعيد فهي مدنٌ مدمّرة

كذلك السّوريّ الذي عمره خيمتان وبضع رصاصات

فكّر في الانتحار

في أن يدمسّ الحرب مجدّدًا في صدر أمّه

إلّا أنّ البارود لم يحالفه هذا الصّبّاح

كذلك الفرات أضاع هويّته في مدن اللجوء

يقطع الحدود متواريًا في ذكريات العابرين

ولا يصل

محطاتٌ وخيبةٌ

أتسكّع ونصف سيجارةٍ تتأرجح في فمي

يتبعني ببطءٍ نصفُ قمرٍ في السماء

تمامًا

كما تبعني جينات أبي المشبعة بالدمع

يا أيها النصف الأخرق انزل

الأزقة تنسع لحائرٍ آخر

فينحسر خلف غيمةٍ جديدة

من فتحةٍ بحجم السنين

ألقي عليها التحيّة وأسألها

أستطيعين كسر إطار النافذة والانضمام إلى جوقة الخفافيش؟

أو تفضّلين المكوث في رحم الغرفة

لتسعة شهورٍ إضافية؟

ولا تردّ

بقدمي العمياء، أركل زجاجة شرابٍ ثملة

فيصرخ الرّجاج "ألا راحة لمدمنٍ هنا؟"

بسرعةٍ ألملم رهيتي وأكمل

على الرّصيف المقابل إشارة مرورٍ عاطلةٌ عن العبث في مسير الليل

بلباقةٍ أدعوها لشرابٍ ساخن

بخشونةٍ يومض ضوءها الأحمر في وجهي

عند مكبّ القمامة كلابٌ كثيرة

في الطّابق الثّاني ضوءٌ وحيد

فوق إحدى الوسائد كابوسٌ يتسلّى

تتجاهلني كذلك

بحزنٍ متّقدٍ أشعل سيجارةً أخرى

وأعود

عن السّوريّ

(1)

بقدمٍ وحيدةٍ يُفليّ رأسٍ مدينتين
ببصماتٍ غريبةٍ يحاول إضاعة الحاضر المستمرّ
بعكّازين يرتق جراح الماضي

كان حصاناً

إلا أنّ قذيفةً شرهةً التهمت قدمه
وتجشّأت غباراً في وجوه أخوته الصّغار

في شارعٍ أشعثٍ مرّ

فوخزته نظراتٌ جماعيّة

استراح عند ناصية الحزن الضيّق

وأخذ ينتزع النّظرات من فراغ بنطاله

شوكّةً شوكّة

(2)

قميصٌ أبيض

مصلوبٌ على شجيرة الغياب
كان قفصًا لعصفورٍ في وقت السّلم
صار رايةً للاستسلام
(3)

سَقُوا الذِّكْرِيَّاتِ لِمَرَّةٍ أُخِيرَةَ
تفحصوا هويّاتهم لمَرَاتٍ عديدة
أقفلوا الأبواب بسلاسل حديدية
وعند الحاجز الأوّل تذكّروا بأنّهم نَسُوا أنفسهم هناك
(4)

عندما فرغوا من الحرب
غسلوا أيديهم ثلاث مرّاتٍ من الرّثاء والكافور
وعادوا إليك
لم يكن بينهم
ظلٌّ يهامس الحزن الجائئ على كتفه
كقرصانٍ بلا كنزٍ أو يابسة

(5)

إن كانت تلك البلاد دريئةً كبيرةً للتمرّن على القنص

فلا بدّ أنّ الثقب في صدره

بفعل رصاصةٍ عاقلة

(6)

يقول:

كلّما ظننتها خمدت

نيران المعركة

يتطاير الشّرر من تلفازي الصّغير

الصباح برزخُ مُضاء

في البدء

كنا شاعرين في الصحراء

ثم نبتت بين أيدينا قصائد شائكة

فتذمرنا

وحين خرجنا من مدينتنا المعبّدة لمرور المجازر

أخفينا في جيوبنا

حزناً لطهو الشّعر

في البدء كان هو

يقطع المدينة لنصفين

كليمونةٍ لاذعة المذاق

يتسكّع مثل فأرٍ حائر

ولا يدري بأيّ جلدٍ خرج

أهو جلد الفلاح أم جلد الشاعر

الصَّبَاحُ نَبْتَةٌ يَابِسَةٌ، يَقُولُ الْفَلَّاحُ

الصَّبَاحُ مَجْرَدُ بَرْزَخٍ مُضِيٍّ لِلْوَصُولِ إِلَى مَوْتِنَا الْيَوْمِيِّ

يَعْقِبُ الشَّاعِرُ

فِي الْبَدءِ كُنْتُ أَنَا

كُنْتُ نَهْرًا

كَأَيِّ نَهْرٍ

كَالْفِرَاتِ مَثَلًا

تَطْفُو عَلَى وَجْهِ صُورٍ لِعَشَّاقٍ مُؤَقَّتِينَ

وَرَسَائِلَ عَاجِزَةً عَنِ الْوَصُولِ

هَذَا الرَّبِيعِ أَنَا دُودَةُ الْمَصِيدَةِ

في الغابة المجاورة

مشينا على نصل الخوف طويلاً
بعد أن نَمَت أوراقنا
وصارت الفؤوس تسحق أنفاسنا
بأسنانٍ حادّة
"كان هذا فوق تربة البلاد المجرمة"
ثم نُقلنا إلى غابةٍ مجاورة
بوجوهٍ صفراءٍ وسيّارةٍ صغيرة
كنا كثيراً يومها
أنا والرجل الحالم
وخوف الرجل مدّعي الشّجاعة
وطفلةٌ تناغي الهواء
والعجوز المقعدة

وكرسيها المتحرك أيضاً

عندها حذفنا وجوه أمهاتنا وأسماءهنّ

خوفاً من حاجزٍ طيّار

"طردتنا البلاد"

قلنا لحطّابٍ غريب

فالتقطَ صوراً فوريّةً للحائنا

من زاويا عدّة

أراده واضحاً ويا بساً

اليوم صرّتُ خزانة أمانيّ

على جدارٍ غريبٍ تماماً

لِكَ حَبْلٌ وَلي سَكِينٌ

سَأنتظركِ عند باب القصيدة الخلفيِّ

كما فعل أصدقائي المتخلفون عن دفع فواتير نجاتهم

لأحمل معكِ الليالي المليئة بنباح الأرق

ولتحملي معي الليالي المليئة بحروف العطش

لنتناوب على سقاية حزني

بالأخبار العاجلة

كي يثمر جريمةً نتقاسم أدواتها

لِكَ حَبْلٌ

ولي سَكِينٌ

وضعوا قلادة الحزن في رقبتني

وقالوا:

أنت الآن مقبرةٌ مفتوحة الاتجاهات

فلا بأس إن وهبت عشبك لقتيلٍ مجهول الهوية

سأتركك مجدداً

إننا ذاهبون بكل فراغنا إلى الفراغ

أو

سنبحر إلى العدم بأشعة مهترئة

سعي الرحلة كما شئت

ففي النهاية ستكتبين

"اليوم تموت أيها القصير"

لا أفران في هذه المدينة

كي أقف في طوايرها كقطرة متخثرة

أو لأنواع كريات العجز السمراء

على رغيف صبر

الفجر هنا يصلح لكتابة الدموع

ولاصطياد حذاء الخيبة فقط

لا أكتب الشعر

العصفور فكرة الشجرة

يعيش في رأسها

في الشتاء

خرجنا لالتقاط أفكارٍ مُبلّلة

"أفكار ما بعد العاصفة"

هكذا اعتدنا تسميتها

كانت خائفة

وهشّة تحت أضرارنا

في غرفتي قفص

في القفص فكرتان بذاكرةٍ هزيلة

الأفكار الصّباحيّة

لعينة كدرس الرياضيات

"ضع فزاعةً قرب سريرك"

هي حكمة صَيَّادٍ عتيق

عند المساء تعود الأفكار جميعها

لتنقر رأس الشجرة

جالبةً الأرق

لا أكتب الشعر

ولم أطر يوماً لأبعد من مدخنة نثري الركيك

فبينما يخلد الشعراء إلى قصائدهم الوثيرة

أقتلع أنا شوغاً إضافياً من الحقول المجاورة

قرميذاً لنصبي

تقول الزوجة:

ستعود يوماً

ألن تعود؟

سيذكرون بأنك في المنفى السحيق

تمترست خلف جرحك

فقط

ليحصل أطفالنا على وجبات عشاءٍ مجانيةّة

يقول الأب:

لا وقت لدينا الآن للحزن

إنّنا خائفون جدًّا

تقول الأمّ:

أرضعتكم الطّريق إلى البيت

وعندما بلغتكم الفطام رحلتم

اسألوا الغرباء الذين تقيمون بينهم

الذين

تأكلون خبزاً كخبزهم

وشوكاً كشوكهم

وتشاركونهم الوقوف على التّوافذ

في انتظار مرور المطر

اسألوهم

أيعلقون أوطانهم المبلّلة بالدماء

على حبل المعركة

ويغادرون فجأة؟

أيؤجّرون أولادهم لحربٍ قائمة

أو قادمة؟

أيتركون حزنهم طليقاً

يعضّ المازّة والمشاهدين

كما فعلنا ونفعل منذ سنين؟

هذي البلاد لا ناقة لي فيها ولا أمل

فلتكن دافئة

فلتكن باردةً مع إشراقة ربيع

فلتكن منتصرة

فليصعد رجالها إلى المرنخ

ولتسقط نساؤها من الجنّة كفاكيةٍ ناضجة

هي أمورٌ لا تعينني

أنا الذي سقطت هنا

كتفاحيةٍ نخرتها ديدان الحرب

تعال أيّها الغريب

لأحدّثك بلسانٍ أكلته قطّة الحرب

هل ستفهم؟

أنا مثلك لي ثلاثة أطفالٍ من طين

كلّما أمطرت السّماء ينبت وطنٌ جديد

فوق جباههم

أهو أمرٌ طبيعيٌّ أيُّها الغريب؟

الثَّانية بعد منتصف الليل:

تغرسين شتلات اللامبالاة في أركان هذه الغرفة الباردة

ثمّ تنامين على غيمةٍ منفصلة

أحقن شرياني بجرعة صمت

وأتبعك إلى الحلم

(أنا حسين الضاهر تركت التدخين كي أتَنفَسكِ جيِّدًا)

فهرس

- 5 ملاحظة
- 7 الإهداء
- 9 عن المؤلف
- 11..... شاعرٌ.. وخمسة دكاكين بقالة
- 13..... كذلك ثلاثةٌ كُنَّا
- 15..... تشابه أحزان
- 17..... في الطَّرِيقِ إلى الفردوس
- 19..... عابرون لا أكثر
- 25..... برد
- 27..... أجْدَلُ شعر العزلة
- 29..... أربعمئة وتسع وثمانون دقيقة
- 33..... أنفي يلتقط الزَّكام بمهارة
- 35..... أسحب البلاد من دمي بإبرة الوقت
- 39..... الحلم درّاجةٌ بعجلتين
- 43..... المسافة بيننا حذاءً متعب
- 47..... لي أهْلٌ من طين.. هم أهلي
- 49..... خمس سنواتٍ في المطبخ
- 53..... وطنٌ مشويٌّ وأشلاء
- 55..... قصيدة طويلة

- 57..... مياهٌ صالحةٌ للقتل
- 61..... طابور الحياة الطويل
- 63..... في مديح الرّمل المُستقرّ في قعر الكأس
- 65..... كعشبةٍ تحت حجر
- 67..... رصيف الخطيئة المبلّل باللّعباب
- 69..... Birecik
- 73..... الصّباح حقلاً بلا فزّاعة
- 77..... أن تكون "نحن"
- 81..... ذنبٌ شرقيٌّ وحنّاء
- 83..... ربابةٌ غزلت لي الكفن
- 85..... كضحكةٍ في مجلس عزاء
- 87..... كلّ سنبليةٍ سبعة عشاق
- 91..... لا ققط تشاركني موائي
- 95..... لأنّي مذ بدأت المسير لم أجد ظلّاً يرافقني
- 97..... محاولةٌ لإلقاء شِعْرٍ سوريّ
- 99..... محطّاتٌ وخيبة
- 101..... عن السّوريّ
- 105..... الصّباح برزخٌ مُضاء
- 107..... في الغابة المجاورة
- 109..... لكِ حبلاً ولي سكّين
- 111..... لا أكتب الشّعْر
- 115..... هذي البلاد لا ناقة لي فيها ولا أمل
- 118..... فهرس

